قيمة العلم الاخلاقية

محاضرة ألقيت في الجامعة المصرية

للدكتور محمد ولي

ربما كان عنوان هذه المحاضرة غريباً اذا قوبل بما آتي هنا من المحاولات العلمية ولكن الابحاث العلمية مهما كانت ومهما علت منزلتها ليست الا مظهر لنشاط الانسان الفكري فهي كلها ترجع الى طبيعة الانسان والى نفسه فالعلم كله مرتبط بالانسان ارتباطاً محكماً ولا يعقل أن يتصور أحد العلم بدون وجود الانسان . والانسان ليس بالشيء البسيط بل فيه قوى كثيرة منها القوة المفكرة وهي التي انتجت العلم والقوة الوجدانية وهي التي انتجت الاخلاق

وما تشيد العلم بمرور السنين الا على المشاهدات والتجارب وما التجربة الا مشاهدة مكيفة او مقصودة . وما المشاهدة الا تجربة طبيعية

ومجموع المشاهدات والتجارب لا تكوّن الا المعرفة ولا تكفي وحدها لتشييد العلم بل لا بد لانتاج العلم من استنباط العلاقات بين المشاهدات والاستعانة بالتجارب المتنوعة لتدعيم هذه العلاقات بعضها ببعض وكل هذا للوصول الى ما يسمى بالقوانين العلمية التي هي غاية العلم القصوى . فاول العلم المشاهدة ثم يعقبها التجربة واستنباط القانون العلمي . والقوانين العلمية متنوعة حسب العلوم نفسها ويستعين العلم اثناء تطوره وتكوينه بكثير من الفروض وقد لا بأس بشيء من الخيال حتى يتضح شيئاً فشيئاً ما سبق من المشاهدات والتجارب فيطمئن العقل الى ما بينها من العلاقات الازلية التي كانت غامضة مستترة في اول الامر . وربما استمر البحث العلمي عدداً من السنين قبل الوصول الى القانون المنشود . وفي كثير من الاحوال تظهر ابحاث جديدة وتجارب حديثة تدل على نقص هذا القانون او عدم كفايته تتحتم اذن مناقشته من جديد سواء أكان ذلك لتعديله أو لهدمه كلية واحلال قانون آخر مكانه . فالعلم اذاً في تطور مستمر ما زالت الابحاث العلمية مستمرة وما زال هناك علماء . واذا أراد احد العلماء تدوين علم في كتاب لم يكن تدوينه له معبراً عن كل حقيقته لان هذا العلم يتطور في اثناء تدوينه حتى اذا أتى العالم على آخر كتابه كان جزء او اجزاء من متن مقالته عرضة للتنقيح او التغيير . فطبيعة العلم اذاً هي التطور المستمر والرقي المتتابع فلا يهدأ على حال ولا يجمد على مبادىء ثابتة متحجرة لا تقبل النقض أو التعديل

واما الاخلاق فلها طبيعة مباينة كلّ التباين لطبيعة العلم . فاصول الاخلاق لا يهمها المشاهدات والتجارب، ولا يعنيها أتعددت المشاهدات او تحورت التجارب بل أن أساس هذه الاخلاق الشعور النفسي بأن هذا الشيء يجب تجنبه وان ذاك يجب عمله . فاذا نطقت بالمبدأ الاخلاقي : لا تسرق أو لا تقتل تحتم على كل رجل عادي (اي لم يصب بمرض عقلي) أن يسير بموجب هذا الامر وان لا يحيد عنهُ قيد شبر . ولا يتغير منطوق هذا القانون ومعناه المطلق مهما تنوعت السرقات سواء منها السرقات الفردية البسيطة أو السرقات الرأسمالية او السرقات الاجتماعية فكلها ممقوتة في نظر مخالفة كل المخالفة لاصوله مهما كانت منزلة السارق ومهما علت درجة الاجتماع في نظر اربابه ومهما عجز القانون الشرعي عن الضرب على أيدي السارق. وربما كانت السرقات التي ليست من اختصاص القانون الشرعي اعظم شأناً واشد اثراً من التي هي من اختصاصه . واما ما يسمى بعلم الاخلاق او فلسفة الاخلاق فما هو الا محاولات لأظهار منبت القانون الاخلاقي من اول الخليقة والبحث عن اصله الحيواني ان كان لهُ اصل حيواني والنظر في مركزه عند الاشخاص او عند الامم الغابرة حتى الآن . فهذه الفلسفة أن هي الا مجموعة ابحاث تاريخية لا تغني الانسان عن القانون الاخلاقي كما ان بحثاً مستفيضاً في عمليات الهضم لا يغني عن التلذذ بطعام جيد

فالقانون الاخلاقي لا يناقش كما لا تناقش الاصول الرياضية فهو كما قال الفيلسوف كنت: أمر قطعي ولذلك كانت القوانين الاخلاقية كلها اوامر من النفس الانسانية مثل لا تفعل هذا وافعل ذاك . فاذا كان العلم مشيداً على المشاهدة والبحث التجريبي واستنباط قوانين منها عرضةً للتطور المستمر فن البديهي أن لا علاقة بين هذا العلم وبين الاخلاق التي لا تهمها المشاهدات ولا التجارب بل انها تصدر امراً ونهياً لا مناص منها

ولكن الابحاث العلمية بطبيعتها وطرق سيرها تؤثر في نفس العالم بحكم تأثير الوسط في من يحتك به وغرضنا هنا اظهار بعض أثر هذا الوسط في تلك النفس

الصدق

اذا تحنك العالم بالابحاث العلمية تحتم عليهِ ان يدوّن مشاهداته بكل دقة وبدون أدنى تحيز او اي تأثر برأي من الآراء . ووجب عليهِ ان لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها لان ما يعتبره صغير الاهمية اليوم في مشاهداته قد يصبح كبيرها غداً . وإذا قام هذا العالم بتجارب لاستنباط القواعد العامة في مشاهداته كان الواجب عليهِ أن يعني بتدوين التجارب الناجحة وأن لا ينسى أو يتناسى ما فشل منها

فكما ان التجربة الناجحة هي ثمينة بالنسبة لرأي من الآراء أو لمبدإ من المبادىء فكذلك التجربة الفاشلة هي مهمة بالنسبة لرأي آخر . فاذا قام العالم بهذه التجارب لاثبات رأي عزيز لديه وكانت نتيجة التجارب مضادة لما يرغب وجب عليه أن ينبي بهذه التجارب اعتناءه بما وافق آراءه منها . فاذا وطد نفسه على هذا الطريق في البحث وهو طريق الروح العلمية الحقة أصبح ذلك عنده عادة والعادة كما قال أرسطو طبيعة ثانية حتى أنهُ إذا وجه نظره الى الوسط الانساني المحيط به أصبح بما تطبعت نفسهُ عليه مرغماً على ان يقول الحق سواء أكان ذلك له أو عليه غير مكترث الا لتقرير الحقيقة المشاهدة . ولا يقدم مثل عالمنا هذا على الكذب لان الكذب ان هو الا تدوين المشاهدة تدويناً خطأً فهو يتطبع اذن على الصدق في الاخبار والصراحة في القول والاخلاص في العمل غير هياب في الحق لومة لائم .

فاذا كان التدرب على حسن رصد المشاهدات والتجارب دون تحيز لشخص أو لرأي هو أول مبدأ هام من المبادىء العلمية ولولاه لما كان للعلم الحديث وجود ، فانهُ في الوقت نفسه يعوّد نفس الباحث التطبّع بصفات اخلاقيـة هامة تجعله يعيش في المجتمع المحيط به متحلياً بالصدق والاخلاص والصراحة نابذاً كل مظاهر النفاق وما أكثر انتشارها في نفوس الناس . ولو كان أثر العلم من درس وبحث هو بث هذه الروح في النفوس فقط لكفى

الصبر والرغبة

ومن المعلوم ان البحث العلمي الصحيح لايمكن وضع حدّ له عند البداية فيه وذلك لانهُ ليس الا محاولة في مجال مجهول محتواه فيتعذر على العالم ان ينبيء بما قد يعترضه من المسائل وحل هذه المسائل سهلة الحل او صعبته بما أنها مجهولة له أو غامضة . فربما استمر البحث عدة اشهر او عدة سنين دون ان يصل الباحث الى نتيجة متناسبة مع الزمن الذي مضى فمن المستحيل غالباً أن تحدد مدة من الزمان للقيام ببحث علمي صحيح . وربما تشعبت المسألة الاولى التي تصدى لبحثها عالمنا الى جملة مسائل كلها مرتبطة بما يريد رفع الحجاب عنه وكل هذا مما يحتم عليه مجهوداً متتابعاً وخضوعاً تاماً للمشاهدات والتجارب وتمحيصاً لكل شيء بدقة وجلد دون أي تضجر او ادنى ملل . فيجب عليه ان يتدرع بكل صبر مهما كانت أحوال البحث امامهُ ومهما اعترضه من العقبات والغموض . واذا وطد نفسه على هذا الشرط الاساسي في البحث اي على الصبر المتتابع والمتواصل اصبح عنده بمرور الايام طبعاً جديداً لا يجوز ان يفارقه حتى ولو فارق العالم ابحاثه العلمية للنزول في مضمار الحياة مع مختلف الناس . فيصبح غير هياب للعراقيل التي تعترضه في طريقه صبوراً على التغلب عليها والوصول الى تحليلها ومعرفة منشئها ومآلها . وكما ان العلم يحوي من المعلومات الشيء الكثير

فهو كذلك يحيط به من المجهولات الشيء الاكثر. لان المجهول او الغامض للانسان اكثر بكثير مما دوّنه العلم وقتله بحثاً. وكلما اضاء نور العلم مسألة من المسائل اظهر حولها عدة مسائل تحيط بالمسألة الاولى مسّ بعضها قبسٌ من هذا النور وبقي البعض الآخر في الظلمات. فما المعلوم الا قطرة في بحر المجهول. وكلما بحث العالم مسألة اكتشف اشياء كثيرة ما كان يحلم بوجودها واكتشف ايضاً ان المجاهيل اخذت تتبين في الظلام المحيط به. وكلما اضاء بنور علمه مجهولاً جديداً كثرت المجاهيل حوله. واذا استمرَّ على هذا المنوال مدة من الزمان اصبح اعتقاده بالمجهولات اقوى من اعتقاده بمعلوماته نظراً الى فقر هذه بالنسبة لتلك فيصبح عالماً رغماً عن كثرة علمه واتساع معرفته شاعراً بان علمه الذي يفخر به والذي يتباهى باتساع مجاله هو شيء ضئيل اذا قيس بما يجب عليه ان يعلم. وكلما فكر في ذلك هدأت الانفة التي كادت تتوطن في نفسه وخف الكبرياء الذي تسرب اليها من كثرة اشتغالها بما تثقفت به من العلم. فبعد ان كان عالماً شامخاً في علاء مطمئناً نفسه بما حصل عليه من العلم هبط الى الارض فرأى ان المجهولات الكثيرة تضطرب حول علمه كاضطراب امواج الاوقيانوس حول جزيرة تائهة فيه وشعر بانهُ لم ينل من الحقيقة الا قسطاً ضئيلاً واذ ذاك يتأكد له ان البحث العلمي لا يتفق والكبرياء وانه يتحتم على العالم كنتيجة منطقية لعمله اليومي ان يكون متواضعاً

ومثل العالم في شموخه الاول وتواضعه الثاني كمثل رجل يملك قدراً من المال محسوساً فهو اذا نظر لنفسه دون ان يهتم بأي شيء حوله وجد انه من الاغنياء وتسلطت على عقله الكبرياء والانفة واما اذا نظر الى من حوله من الناس وجد ان هناك اناساً اعظم من الغنى ما لو وازنهُ بما عنده لوجد نفسه فقيراً بينهم فاذا وازن غناه بما يتركه غيره من ثمرات الاضعاف اغنى منه اقلع عن غيه وتواضع

سعة الصدر

كل يعلم ان المسائل القابلة للبحث مكتنفة بعدد ليس بالصغير من المؤثرات او العوامل وانهُ من المتعسر كثيراً دراسة هذه العوامل واحداً واحداً ومعرفة اثرها بشكل واضح في تطور المسألة الاولية التي بدأ البحث بها. فاذا تعرضنا مثلاً الى بحث مسألة نمو عضو من الاعضاء كعظم من العظام او ضمور عضو آخر مثل ذيل يرقة الضفدع او وظيفة من وظائف الجسم كالتنفس ودقات القلب وجدنا انه من اصعب الامور تحديد فعل كل عامل من مجموع عصبي واخلاط وافرازات داخلية وغير ذلك. وكل من هذه العوامل ليس بالبسيط ومن المتعسر ان لم يكن من المستحيل ان يظهر الباحث فعل كل هذه المؤثرات كلها في المسألة التي هو بصددها فهو مضطر لان يهمل جزءاً منها بعض الاهمال او كله. واذا بحث المسألة عينها عالم آخر اضطر ايضاً أن يهتم ببعض المؤثرات وان يهمل البعض الآخر

ولهذا السبب تكون نتائج بحث مسألة واحدة غير مطابقة بعضها للبعض الآخر في كل شيء وربما كانت في كثير من الاحيان متضادة . والسر في ذلك كما قدمنا يرجع الى ان الباحث الاول ربما اهتم بفاعل معلوم كل الاهتمام وان الباحث الثاني ربما لم يعره الاهمية الكافية وان الباحث الثالث ربما اهمله كلية وهكذا مع كل المؤثرات المهيمنة على اي مسألة . واذا تيقن العالم بممارسته المسائل العلمية واطلاعه على تفاصيل ابحاث العلماء الآخرين من ان النتائج ربما اختلفت او تناقضت وان هذا الاختلاف وذاك التناقض راجع الى تعقد هذه المسائل واطاعتها لفواعل متعددة يستحيل على الباحث ان يفحصها في وقت واحد — اذا تيقن من ذلك اصبح اعتقاده في القيمة النهائية لابحاثه اعتقاداً مخففاً أصبح لا يتشدق بما وصل اليهِ تشدق المبتدئين وداخله شيء من الشك في الاهمية المطلقة لما وصل اليهِ واخذ يفكر في امكان تسرب شيء من الخطأ الى بحثهِ . واذا استولت هذه العقلية على نفسه نظر الى الابحاث المخالفة او المضادة لبحثهِ في النتيجة نظر المتسامح الواسع الصدر لا نظر الخصم اللدود وتأكد لهُ ان التضاد في نتائج الابحاث او تباين هذه النتائج نتائج حتماً من التعقيد الموجود في كل مسألة علمية طرق بابها العلماء . واذا تمكن عالمنا من العقلية السابقة في محاولاته البحثية تطبع بها وانتفع بها في الحياة العامة حيث يصير صافحاً عن الزلات متسامحاً من الهفوات غير متعصب لرأي مهما كان مظهره الخارجي قريباً من الحقيقة واذا اصبح هذا التسامح ديدنه صار وديع الخلق في المحادثات والجدل غير متهور في كلامه ولا متطاول على الغير

واذا نظرنا الى وجهة اخرى من البحث العلمي وجدنا انهُ يستدعي كما قلنا مجهوداً كبيراً مستمراً اعداداً من الاشهر او عدداً من السنين وان هذا المجهود ربما لا ينتج شيئاً بعد مرور زمن طويل وانهُ ربما انتج شيئاً ضئيلاً اذا قورن بالزمن الذي صرف في التجارب المتنوعة وان نتيجة ابحاث طويلة ومتعبة ربما لم تدوَّن الاَّ في بضعة اسطر

فاذا فكر العالم في هذه الوجهة من البحث العلمي والم النظر على الاخص في ابحاثه هو وما تستلزمهُ من الوقت والتعب المادي والعقلي وفي ان طبيعة ما يقوم بهِ العلماء من الابحاث لا تختلف عن طبيعة ابحاثه هو. اذا فكر في كل ذلك كان موقفه امام اي بحث حتى ولو كانت نتيجتهُ مخالفة لما يراهُ هو حقّاً موقف الاجلال والاحترام . لانه يعلم حق العلم كلَّ ما تكبده صاحبه من العراقيل وكلَّ ما اعترضهُ من المصاعب التي حتمت عليهِ مجهوداً عقليّاً وماديّاً منهكاً . فاذا كان عالمنا يجلُّ بحثه هو وجب عليهِ ان يجل ابحاث الآخرين حتى ولو كانوا على خلاف كلي معهُ

فاذا توطنت عنده هذه العقيدة اصبح منطبعاً بها واصبحت متصفة بهِ حتى انهُ اذا فارق

اتجاهه واندفع في تيار الحياة العادية لم يمكنه ان يتخلص منها ولو اراد فيصير محترماً لآراء الناس احترامه لرأيه وهذا بدون تكلف او نفاق . ولا يهمه اذ ذاك ان الآراء التي هو بصددها استدعت مجهوداً كبيراً لانضاجها او لم تستدع شيئاً لان عقليته قد تكوّنت وثبتت

***

ومن جهة اخرى اذا تتبعنا تاريخ بعض المسائل العلمية من اول ظهورها بين العلماء ضعيفة عارجة حتى ثبتت قدماها وقوي مركزها وصارت اصلاً جديداً من اصول العلم — اذا درسنا هذا التاريخ وجدنا أن اكثر علماء الوقت قابلوا الاكتشاف الجديد بالسخرية الظاهرة ان لم يكن بالعداء المتأصل ساخطين على المكتشف ناقمين عليه . والسر في موقف العلماء هذا اظنه يرجع الى ان اكثرهم كان متعوداً علمهُ مطمئناً اليهِ هادىء البال بهِ وان الاكتشاف الجديد بطبيعته يرمي الى تغيير جزء من العلم السابق او تعديله . فهو مجهود ثوري لا يخطو العلم الخطوات الواسعة الا بهِ وماكان الانسان في مجموعه شغوفاً بتغيير النظم التي تعوّدها واكثر العلماء رغماً عن علمهم تابعون لهذه الطبيعة الانسانية لا ينظرون بعين الرضا الى المحاولات الهادمة لما كانوا بهِ يؤمنون

ومن المكتشفات التي اضطهدت في اول امرها مسألة النيازك والنيازك هي الصخور المعدنية (واكثرها حديد ونكل) التي تسقط على الارض من السماء آتية من اجرام سماوية اخرى. ففي اواخر القرن الثامن عشر اظهر بعض العلماء بناء على مشاهدات حقة ان هناك كتل معدنية صخرية مختلفة في الحجم وفي الثقل تسقط على الارض من بعض الكواكب فقابل أغلب العلماء هذا الاكتشاف بالعداء والسخرية وانفرد من بين هؤلاء العلامة الاشهر لافوازيه (واضع اصول الكيمياء الحديثة) فطعن اشد الطعن على هذا الاكتشاف الجديد مستنداً على قانون الجاذبية العام قائلاً بأن كل جرم سماوي يجذب اجزاءهُ اليهِ وانهُ من المستحيل ان تسقط صخور من السماء على الارض وقدم تقريراً جازماً الى مجمع العلوم بباريس ساخراً فيه من هؤلاء العلماء الذين ساقهم عقلهم الى الشك في قانون الجاذبية هذا الشك الفاضح. ثم مرت الاعوام وظهر من تكرار المشاهدات ان لافوازيه كان خاطئاً وان النيازك حقيقة لا شك فيها وانها تسقط من الكواكب على الارض رغماً عن سيطرة الجاذبية

وهناك مسألة اخرى خاصة بالكائنات البحرية وتتلخص في انه كان من البديهي عند العلماء في النصف الاول من القرن التاسع عشر انهُ لا يوجد أثر للكائنات تحت عمق اربعماية متر في البحر الملح وذلك لان الضوء لا يصل الى هذ العمق وان الضغط على جسمها يبلغ عند هذا العمق عشرات اضعاف الضغط الجوي وانها لا يمكنها ان تعيش مطلقاً تحت هذا

الضغط . فمن البديهي اذن ان لا توجد كائنات حية تحت هذا العمق . ولا يخفى ان هذه البرهنة واضحة بسيطة متماسكة منطقيًّا فكان من المعقول ان يكتفي بها العلماء وان يطمئنوا الى حقيقتها ولكن اظهرت الابحاث التالية في صيد الحيوانات البحرية على اعماق مختلفة وذلك بآلات صيد خاصة تدل بالضغط على العمق الذي اخذت فيه هذه الحيوانات من ان هنالك كائنات حية متعددة ومتنوعة من اسماك وقشريات ونجميات على اعماق بعيدة يصل بعضها الى سبعة آلاف متر او اكثر . وان هذه الكائنات تتحمل ضغطاً يقدر بسبعماية ضغط جوي وانها رغماً عما كان ينتظر منطقيًّا منها محمية بدروع صلبة تجعل اعضاءها الداخلية في مأمن من العطب بل ان اغلب هذه الحيوانات هي على الضد من ذلك طرية الملمس والجدار كبعض مثيلاتها في المياه السطحية والعقل يحار امام السر الذي تخفيه هذه الحيوانات في تحمل هذا الضغط العظيم . ولما تكرر صيد الاعماق البحرية ثبتت هذه الحقيقة شيئاً فشيئاً حتى اصبحت لا شك فيها الآن ودخلت في مجال العلم رغماً عن مخالفتها للمنطق الذي استندت عليه الآراء القديمة

ولما ظهر داروين بكتابه « اصل الانواع » قامت القيامة في وجهه وانتقده العلماء وسخروا به لان آراءه الجديدة كانت مخالفة لما تعودوه من التفكير ولكن لم يلبث ان خضع له الكثيرون ممن كانوا لا يؤمنون به . وان كانت آراء داروين الاصلية قد تشتت كثير منها في مهب الريح الا ان اثرها في تطور الابحاث العلمية لا شك فيه ومركزها في تاريخ العلم مركز عتيد

وكذلك لما قام العلامة باستور بابحاثه المعروفة في المكروبات واظهر لعالم الطب الدهش ان كثيراً من الامراض سببها تكاثر ميكروبات خاصة في عضو من اعضاء الانسان او الحيوان ... من الممكن زرع ... [illegible] ... سليم — لما فعل باستور ذلك قامت قيامة علماء الطب عليه وصاروا يطعنون اشد الطعن في هذه الآراء الجديدة ولكن كل هذا العداء من جانب علماء ذلك العصر لم يمنع نظرية الامراض الميكروبية من التقدم والتحسن حتى اصبحت الاصل للجراحة والطب الحديثين

ولما اظهر باستور بواسطة التجارب المتقنة المحكمة ان الكائن الحي لا يتكوَّن الا من كائن حي سابق وانهُ من المستحيل ان تتكوَّن الحياة في سائل عضوي معقم تعقيماً كافياً اي ان نظرية التولد الذاتي مستحيلة التحقق وكانت هذه النظرية شائعة كل الشيوع بين علماء ذاك الوقت — لما اثبت باستور ذلك احتج عليه العلماء من كل صوب مخطئين كل التجارب مستندين الى ما تعودوا رؤيته وكل هذه الضجة الهائلة لم تمنع آراء باستور من الانتصار

الانتصار

وتاريخ العلم حافلٌ بامثلة من نوع الامثلة السابقة وربما امكننا ان نقول ان تاريخ العلم ان

هو الا حوادث متشابهة مثل التي سبق ذكرها . اي ان اغلب علماء كل عصر من العصور يقابلون الابحاث الجديدة الثورية بنفور مستحكم وعداء ظاهر وان موقفهم هذا وما تلاه لم ينتج الا خطأ الآراء القديمة وصحة القول الجديد . فاذا تدبر عالم مثل هذه الامثلة من تاريخ العلم تأكد له انه من الخطأ والخطل الا ينبذ رأياً جديداً لا لسبب الا انه منافر لما قد تعوده من الآراء وانه يجب عليه امام الابحاث الجديدة والغريبة ان يتريث في الامر وان يقتلها فحصاً وتفكيراً وان لايجعل للعجلة اي سلطان عليه وان لايحتم على نفسه التخلص من هذه الآراء الجديدة او قبولها في زمن معين

فاذا تطبع العالم بهذا الطبع الجديد انتقل به الى الحياة العامة فصار لاينظر الى آراء الناس نظر الساخر المتهكم بل نظر الباحث الطامع في الوصول الى شيء من الحقيقة مهما كان ضئيلاً في كل رأي معروض عليه فلايحكم بعدم الوجود على اشياء يجهلها ولايحكم بالخطأ على مايخالف مايعلمه . فيصير بذلك طيب الحديث حسن الجدل لايفاجيء احداً بصدمة في آرائه ولايتعصب تعصباً عنيداً لافكاره وبذلك يصير ممن تسهل معاشرتهم وممن تصبو الناس الى مجالستهم

فنستنتج اذن مما مر من القول أن ممارسة الابحاث العلمية تكسب العالم فضائل الصدق في القول والصبر على الامور والتواضع مع الغير والتسامح مع من يخالفه في الرأي واحترام آراء الغير وحسن الحديث والمعاشرة وكلها من المبادئ الاخلاقية العامة

وربما كان للبحث العلمي في النفس أثر لا يتفق وأصول الاخلاق ولكنا لا نتعرض لذلك هنا

فاذا كان العلم وابحاثه يكسب العالم ما سبق شرحه من الفضائل فلماذا نجد ايضاً من المشتغلين بالعلم من لا يتأخرون عن الكذب ولا يصبرون على شيء شاغلين بأنوفهم الى السماء مغرورين بما يعلمون متعصبين لآرائهم تعصباً أعمى محتقرين لكل فكر يبعد عن فكرهم ولو قليلا . فكل رأي خطأ الا رأيهم! واذا وجه اليهم سؤال كان جوابهم عليه سريعاً لاتردد فيه ! ولو اظهر احدهم خطأ رأيهم لم يكن جوابهم تلك الجملة الانكليزية المتداولة الاستعمال في كل موقف « أنا آسف »! فهم يعلمون كل شيء ويتعسر على احدهم ان يقول « لا اعلم » مع ان اثر الابحاث العلمية الذي تركه قد يتلخص في هذه الجملة البسيطة « اني أعلم اني لا اعلم »

اذاً فلماذا يوجد هذا النوع من العلماء؟ لان العلم عندهم صناعة كباقي الصناعات انبعثت من القوة المفكرة في النفس ونمت وتحسنت دون ان تمس القوة الوجدانية (التي تنتج الاخلاق) فالفكر والوجدان في نفسهم متجاوران دون ان يتداخل احدهما في عمل الآخر فكل منهما يعمل في ناحيته . ولكن في نظرنا يجب ان يكون للعلم اثر واضح في الاخلاق حتى يقوم ما اعوج منها وأملي ان تكون محاولتنا هذه ناجحة في توضيح شيء من هذه الحقيقة